﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣﴾

[الزخرف: 43]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الَّـذي يدعو بما أوحَى اللهُ بِهِ لا يجوزُ له أن يفتر في سبيل هـذا الشَّرفِ العظيمِ

لَمّا بيَّنَ تعالى في السِّياق القريبِ أنَّ العاشينَ عن ذكره؛ صاروا كالصُّمِّ العُمْي؛ لعراقتهم في الضَّلالِ العظيمِ المُبِينِ، ووعَد تعالى بنُصْرةِ دينِه في حال حياتِه ﷺ، أو بعدَ الذَّهابِ به؛ أرشد تعالى بهذه الآية نبيَّه محمَّدًا ﷺ رأسَ أهلِ الحقِّ والإيمانِ، ومِن ورائه أُمَّتُه أمَّةُ الإجابةِ، إلى ديمومةِ الاستمساكِ بالذِّكْر الحكيم، وإنْ ظلَّ أهلُ الباطلِ على حالهم، وإنْ لم ينتقمِ اللّه منهم مِن باب أوْلى، وإن أراه اللّهُ فيهم ما وعدَهُم به مِن العذابِ، وإن انتقمَ اللّهُ منهم بعدَ موته؛ فليستمسك أتباعُه بالحقِّ والهُدَى؛ حتّى يكونوا مِن الَّذين يبلِّغون رسالات اللّه، ويخشونه، ولا يخشون أحدًا إلّا اللّه، وألّا يُداخلهم في ذلك فتورٌ ولا يأسٌ، وأن يكونوا قائمينَ على أمر اللّه لا يضرُّهُم مَن خالفَهُم، بل عليهم أن يُراجعوا ما هم عليه مِن حقٍّ، وأنْ يُراجِعوا فهْمَهم، وأنَّه لا يجوزُ لهم أنْ يشكّوا في أنَّ الدَّعْوة إلى الصَّواب والصِّدْق في كلِّ باب مِن أبواب العِلْم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ﴾: (مسك): أصلٌ واحدٌ صحيحٌ؛ يدلُّ على حَبْسِ الشَّيء أو تحبُّسِه، وإمساكُ الشَّيء التَّعلُّقُ به، وحفظُه، وأمْسكْتُ بالشَّيء، وتمسَّكتُ به، واستمسكتُ، وامتسكْتُ: كلُّه بمعنى: اعتصَمْتُ[2].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 31، ومحمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 386 - 387.

(2) ابن منظور، لسان العرب، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (مسك).

والمقصودُ بالاستمساكِ المأمورِ به هنا حِفظُ الوحيِ ووعيُهُ واليقظةُ؛ لِما فيهِ مِن معاني الهُدَى، والحِرْصُ الشَّديدُ على ما فيهِ مِن هداياتٍ وأحكامٍ، وإبصارُ نفاسَتِه في ذلكَ، وكلُّ ذلكَ يُنْتِجُ الاستمرارَ على الدَّعوةِ إليه، وعدمِ تركِ هذه الدَّعوةِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ما دامَ الحقُّ في ذاتِه لا يتغيَّرُ؛ فأهلُ الحقِّ يثْبُتون، ولا يتغيَّرون

يقولُ تعالى: إذا عرَفْتَ - يا محمَّدُ - أنَّ حالَ قومِك ما ذكرتُ لكَ؛ فتمسَّكْ بالقرآنِ الَّذي أوحيناه إليكَ، وما دام وحيًا مِنّا؛ فمِن شأنِه أن يُسْتَمْسَكَ به؛ لأنَّه حقٌّ واضِحٌ وطريقٌ مستقيمٌ يوصِّلُ إلى كلِّ خيرٍ في الدّارَيْنِ، سواءٌ أصرّوا على كفرهم، أو رجَعوا إلى الحقِّ، مِن بابِ أوْلى، وسواءٌ انتقمنا منهم، أم لا؛ لأنَّهم أهلُ ضلالٍ، فلا يميلُ عن مِثْلِ الصِّراطِ المستقيمِ إلّا ضالٌّ في الدِّين، ولا يستمسك به إلّا كلُّ مُهْتدٍ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الفاء، ودلالة التَّعبير بها:

الاعتصامُ بالله والاستمساك بدينه ملجأ الأنبياء والصّالحين

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾: معناها السَّببيَّةُ والتَّعقيب والتَّرتيب مِن غير مهلة، فيجوز أن تُرتِّبَ ما بعدها على قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، ووجهُ التَّرتيبِ فيه غورٌ بعيدٌ، فترتيبُ وعْدِه رسولَه ﷺ بنُصْرة دينه على بلوغ القوم غايةَ الإعراض والعنادِ يرجعُ غورُه إلى عِزِّ الألوهيَّة الَّتي تملكُ أن تُبشِّرَ بالنَّصْرِ، معَ هذا العِناد البالغِ، وأنَّه هو سبحانه، الَّذي يفتحُ هذه الآذانَ الصُّمَّ، وهو وحْده - وليس النَّبيُّ ﷺ - هو الَّذي يَهْدي هؤلاءِ المُصِرِّينَ على العَمَى[2]، وكذلك يُقال في

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 213.

(2) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 385.

ترتُّبِ ما بعدها على ما بعدَ الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾، ويجوزُ أن تُرتِّبَ ما بعدَها على مجموع ما بعدَ الفاء في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝٤١ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾، ووجهُ ذلكَ التَّرتُّبِ أنَّ انصرافَ الخَلْقِ عن الحقِّ قد يفُتُّ في عضُدِ الدُّعاةِ إلى دينِ اللّه تعالى، فأرشدَهُم اللّهُ في صورة خطابِ نبيِّهم ورسولِهم إلى أنْ يكونَ حالُ هؤلاء المُنْصَرِفينَ عن الحقِّ بعد ما تبيَّنَ سببًا في ازديادِ التَّمسُّكِ بالحقِّ المُبينِ القرآنِ العظيمِ.

دلالةُ صيغة الاستفعال في: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ﴾:

جاءت السِّينُ والتّاءُ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ﴾؛ دلالةً على التَّوكيدِ والمبالغة في طلبِ معنى هذا الفعل؛ مناسبةً مع ما في السِّياقِ مِمّا يُحْبِطُ، ويُؤيِسُ أهلَ الدَّعوة إلى اللّه – سبحانه وبحمده – فإنَّ المدعوين عاشون عن ذِكْرِ اللّه، وصاروا صُمًّا عُمْيًا، فهذه الصّيغة (استفعل) توجِّه أهل الإيمانِ إلى أن يكونوا أكثر استمساكًا بالقرآن ووعيًا به ويقظةً لما فيه، في مواجهة هؤلاء العاشينَ عن ذِكْرِ اللّه، فكلَّما أصرَّ أهلُ الكفر على كفرهم، وأسرفوا فيه؛ ازداد أهلُ الإيمان تمسُّكًا بذِكْرِ الرَّحمن، قال البقاعيُّ: "﴿فَٱسْتَمْسِكْ﴾، أي: اطلُبْ، وأوْجِدْ بجِدٍّ عظيمٍ على كلِّ حالِ الإمساكِ"[1].

هـذه الصِّيغة تنظُر إلى الصَّدِّ عن سبيلِ اللهِ أيضًا

الغرضُ البلاغيُّ للأمْرِ في: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ﴾:

الأمْرُ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ موجَّهٌ إلى رسولِ اللّه في الظاهرِ، ومِن ورائه أمَّتُه أُمَّة الإجابةِ، ولأهلِ الكفرِ نصيبٌ لطيفٌ مِن الخطابِ بهِ؛ إذ تنعي عليهم الآيةُ شديدَ رفْضِهم لوحي اللّه، أي: كُفْرَهُم به، وإسرافَهُم في الكُفْرِ، فمِثْلُه لا يُتَمسَّكُ به،

في الأمْـرِ تـرقٍّ لـرسـولِـنـا، ثـمَّ لأُمَّته مِن ورائه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 31.

بل يُسْتَمْسَكُ به، ورسولُ اللّه محمَّدٌ ﷺ مستمسِكٌ بالَّذي أوحيَ إليه، ففي أمْرِه به معنى طلبِ الدَّوامِ والاستمرار عليه، والتَّرقِّي فيه، "وهو ﷺ مُسْتمِرٌّ على هذا الاستمساكِ، وثابِتٌ عليه، واللّهُ سبحانه يعلمُ منه ذلكَ، وإنَّما أُمِرَ به؛ لأنَّ كلَّ أمْرٍ موَجَّهٍ إلى رسولِ اللّه ﷺ هوَ أمْرٌ لأُمَّته إلّا فيما كانَ خاصًّا به ﷺ وتوجُّهُ الأمر إلينا عن طريقِ توجُّهه إلى رسولِ اللّه ﷺ تشريفٌ لنا، وحثٌّ لنا على أنْ ننقادَ، ونستجيبَ لأمْرِ ربِّنا، وحَسْبُنا مِن الفَضْلِ والكرامةِ أن نكونَ في استجابتنا لأمرِ ربِّنا في معيَّة نبيِّنا – صلوات اللّه وسلامه عليه – وفي صُحْبتِه"[1].

دلالةُ الباء في: ﴿بِٱلَّذِىٓ﴾:

المبالغةُ في الأمر المذكور صورةٌ لإسرافِ أهل الكفر في الكفر

الباءُ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ معناها التَّعدية، وهي القائمةُ مقامَ الهمزة في إيصالِ معنى الفعل اللّازم إلى المفعولِ به، ولا يكادُ يُفارقها معنى الإلصاقِ والاختلاطِ، وهذا يعني هنا في سياقِ الأمر بالاستمساكِ بالقرآن أنَّ مدخولها مِن شأنه أن يُقْبَل عليه بالكُلِّيَّةِ، وأنْ يُلازَمَ علمًا وعملًا، ففي الباءِ توطئةٌ؛ لكون ما بعدها حُجَّةً ودليلًا على ما قبلها مِن الأمر المذكور، وفي الباء توكيدٌ وتحقيقٌ؛ لقوله: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ﴾، ففيها إبلاغٌ في طلبِ لزومِ بابِ القرآن العظيم.

علَّةُ التَّعبير بالموصوليَّة:

إنكارُ القرآن كإنكار الشَّمْسِ وقت الضُّحَى

عبَّر النَّظم الكريم عن الوحي – وهو القرآن الكريم – بالموصولِ وصلتِه في قوله تعالى: ﴿بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾، وهذا يعني أنَّ كونَه وحيًا مِن عندِ اللّهِ عنوانُ هذا القرآنِ، وأنَّ ذلك ظاهرٌ فيه جدًّا، فهو معروف معلوم مشهور، فعظمتُه بيِّنةٌ واضِحةٌ جدًّا، وفي هذا

(1) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 386، والآلوسي، روح المعاني: 25/ 84، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 326، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 219.

حثٌّ على الاستمساك به مِن جهةٍ، فهو يعود على الأمر: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ بالتَّحْقيقِ والتَّوكيدِ، وإنكارٌ لطيفٌ على قومه أنْ ينصرفوا عنه، ويعشو عن ذِكْر الرَّحْمن مِن جهة ثانيةٍ، وتسليةٌ لرسولنا ﷺ مِن جهةٍ ثالثةٍ، فإنَّ في الصِّلة دلالةً على ظهورِ كونِه رسولًا مِن عندِ الله - ﷺ - وكان يُمكن أن يقول: بالموحى به إليك، أو بالقرآن، أو بالكتابِ، وغيرِ ذلكَ مِن التَّعبيراتِ الكثيرةِ الَّتي يفوتُ بها تلك المعاني والأسرار الَّتي يفتقر إليها السّياقُ.

دلالةُ المُضِيِّ في الفعل ﴿أُوحِىَ﴾:

نظَم القرآنُ معنَى الوحي فعلًا ماضيًا في قوله: ﴿بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾؛ إشارةً إلى أنَّ بعضَ القرآنِ - وهو ما نزَل عليكَ قبلَ هذه الآية مِن آيٍ - مِن شأنِه أنْ يدُلَّ على صدقِك يا محمَّدُ، أي: على كونِك نبيًّا ورسولًا مِن عندِ الله، فكونُ القرآنِ برهانَ نبوَّتِك حاصلٌ ببعضِه، لا يتوقَّفُ عليه كلِّه، فليس مِن حُجَّةٍ لمَن

آيُ القرآنِ سواءٌ في الـدَّلالـةِ على اللهِ

عشا عنه، وليس مِن عُذْرٍ لمَن انصرَفوا عنه صُمًّا عُمْيًا، ففي المُضِيِّ كمالُ ذمِّهم، وكمالُ تسليتِه ﷺ.

سِرُّ الفَصْلِ والتَّوكيد في: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

ورَد قولُه تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مفصولًا عن ما قبلَه؛ لأنَّه تعليل للأمر بالاستمساك بالوحي، وتأكيد له[1]، وهذا التَّأكيد يطيب خواطر الأتباع، ويحملهم على حسن الاتِّباع[2]، فهُم في طريق اللهِ المستقيم الَّذي لا يخيب من سلكه، ولا يضلُّ من تمسَّك به، ولذلك أكَّد القرآنُ مضمون هذه الجملة بـ(إنَّ) واسميَّة الجملة؛ لكمالِ العناية بمضمونها[3].

القرآنُ وحيُ الله هو الـزّادُ الدّائمُ لأهل الحقِّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 219.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 31.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 326.

معنى: ﴿عَلَىٰ﴾، ودلالة التَّعبير بها:

في هـذا الحـرفِ كـمـالُ مـدحِ رسـولـنـا في الظاهر، وكمالُ ذمِّ قـومِـه في الباطن

كلمةُ: ﴿عَلَىٰ﴾ حرفٌ معناه الاستعلاءُ، وهو إمّا حِسِّيٌ، وهو الأصلُ، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون: 22]، وإمّا مجازيٌّ، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5]، وكما هنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فدلالتُها تمَكُّنُه ﷺ من ذلك الصِّراطِ المستقيم عِلْمًا وعَمَلًا، ووراءَ هذا من المعنى أنَّه ﷺ لم يُقصِّرْ في حقِّ قومه ودعوتِهم إلى الحقِّ والهُدَى، حتَّى يعشوا عن ذِكْر الله، ويكونوا صُمًّا عُمْيًا في ضلالٍ مُبينٍ، وفيه أيضًا حثٌّ شديدٌ على الاستمساكِ بالَّذي أوحيَ إليه، وفي: ﴿عَلَىٰ﴾ "تثبيتٌ للرَّسول ﷺ وثناءٌ عليه بأنَّه ما زاغَ قِيدَ أُنْمُلَةٍ عمّا بعثَه الله به، كقوله: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل: 79]، ويَتْبَعُه تثبيتُ المؤمنينَ على إيمانِهم"[1]، وقال القونويُّ: إنَّ القرآنَ مثَّل حالَه ﷺ مع الصِّراط المستقيم، من تمكُّنِه منهُ، بحالة استعلاءِ الرّاكبِ على المركوبِ، على طريقِ الاستعارة التَّمثيليَّةِ[2].

علَّةُ التَّعبير بالصِّراط:

حقـائـقُ الـدِّيـن خـطٌّ واضـحٌ تـحـدَّدتْ حـدودُه، فلا يلتبس بغيره

قولُه تعالى: ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: ليس المراد الصِّراط الَّذي تراه عينك طريقًا واضحًا مستقيمًا، وإنَّما المراد حقائقُ الدِّين، ومنهجُ القرآنِ وتجاوبُه مع الفطرة الصَّحيحة، واستقامته في نفوس أهل الحقِّ واليقين، كأنَّه طريقٌ واضحٌ، يصف منهجًا بيِّنًا، ويُحدِّدُ المعالم تحديدًا مضيئًا، فالموقِنُ بهذا الدِّين لا يبحثُ عن خطَّة يمضي في حياته عليها، وإنَّما الطَّريقُ بينَ يديه، وهو طريقٌ مستقيمٌ، وما عليه إلّا أن يمضي[3]، ففي استعارة الصِّراط لذلك استعارةً تصريحيَّةً تبعيَّةً مزيدُ حثٍّ على التَّمسُّكِ بهذا القرآنِ، فهي تعودُ على قوله:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 220.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 326.
(3) محمد أبو موسى، التصوير البياني، ص: 365.

﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ﴾، بالتَّحقيق والتَّوكيد، وفيها أيضًا غايةُ الدَّهشة والتَّعجُّب مِن أهل الكفر، كيف عشوا عن ذِكْرٍ كالصِّراطِ؟ وكيف صمّوا، وعموا عنه؟

سِرُّ تنْكيرِ ﴿صِرَٰطٍ﴾:

نظَم القرآنُ الصِّراطَ نكرةً في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؛ إبلاغًا في الحثِّ على الاستمساكِ به؛ لدلالته على التَّعظيم والتَّفخيم، النّاظرَيْنِ إلى المستعارِ لهُ المُشبَّه، الدِّينِ الحقِّ الذي لا عوجَ فيه، واستقامتُه جدٌّ ظاهرةٌ للعقولِ ظهورَ الشَّيءِ، تراهُ العيونُ.

أعـظـمُ طـريـق هـو طـريـق الله تعالى

دلالة الوَصْفِ بـ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾:

وصَفَ القرآنُ الصِّراطَ بقولِه تعالى: ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾؛ ترشيحًا للاستعارةِ في الصِّراطِ؛ لأنَّه هو الملائمُ للمستعار منه، وهو الصِّراطُ، وهذا إبلاغٌ في تقرير المعنى، وكَشْفٌ عن حقيقة ذلك القرآنِ العظيمِ؛ إبلاغًا في الحثِّ على الاستمساكِ بالقرآنِ مِن جهةٍ، وفي تسليته ﷺ مِن جهةٍ ثانيةٍ، وفي الإنكار اللَّطيفِ عليهم أنْ يكفروا بالقرآن الَّذي هذه صفتُه.

كيف ينحرفون عـن الـصِّـراط المستقيم؟

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"